مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 **VOL. 4. No. 4** **Oct (1442-2020)**

أدبيات الوباء في الخطاب الشعري (الواقع والأثر)

The literature of the epidemic in the poetic discourse. Reality and impact

السيد محمد سالم[1] **رجب إبراهيم أحمد عوض[2]**

Elsayed Mohamed Salem **Ragab Ibrahim Ahmed Awad**

ملخص البحث

جرت العادة أن يتعايش الأدب مع الأحداث الجارية التي يمر بها العالم تأثيرا وتأثرا، ويكون لها صدى، ولا تذهب معه سُدى؛ فيسجل في ذاكرة الإبداع مقطوعات أدبية بارعة، ونصوصا فنية ماتعة؛ تخفيفا للأوجاع، وتلطيفا للأوضاع. ومع تفاقم أزمة فيروس (كورونا)– الذي النفوسُ منه لاقت! والألسنةُ له لاكت – طفا على سطح الساحة الأدبية والنقدية من جديد ما يسمى بـ (مصطلح الأدب الوبائي أو أدب الأوبئة)، والذي انبرى له الشعراء مسجلين تجارب شعرية مريرة؛ بدا فيها حجم الفاجعة، وقسوة المشهد، وأثر الطواعين في البيئة والمجتمع وقتئذ؛ واصفين حجم المأساة، مقدمين واجب المواساة. ومن هؤلاء الشاعر علي الدرويش (1796م–1853) والشاعر نقولا الاسطمبولي (1763م–1828) فقد قاما كل منهما بتناول الوباء في إنتاجه الشعري، والذي ضرب البلاد في القرن الثامن عشر الميلادي، في تجربة شعرية تستحق الوقوف عليها وتجليتها، ومعرفة ما لها وما عليها؛ وكذا لنقف على الفروق ونصل للعروق لتفقد مسيرتهما، ومتابعة سيرتهما؛ تجليةً لما غمض، وإظهارا لما خفي؛ لعلها تكون أصبعا يسهم في الإشارة لهذا النوع من الأدب؛ لجمع ما تفرق من شتات، وما كتب عنه من فتات. وعليه جاء البحث في مقدمة وتمهيد، وأربعة مباحث، مشفوعا بخاتمة، ومصادر البحث ومراجعه

الكلمات المفتاحية: أدبيات – الأوبئة – الخطاب– الواقع — الأثر

[1] أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية بكلية اللغات والاتصال، جامعة السلطان زين العابدين، ماليزيا sayedsalim@unisza.edu.my

[2] محاضر بكلية اللغة العربية – جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية drragabibrahim@unishams.edu.my

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 **VOL. 4. No. 4** **Oct (1442-2020)**

Abstract
It is customary for literature to co-exist with the current events that the world is experiencing in influence and influence, and to resonate. and in will not be in vain. he records in memory ingenuity literary masterpieces, and relic artistic texts, a relief of pomp, and an abnormality. And with the aggravation of the virus (Corona) crisis - which souls from it became tired! The year has spoken a lot, the so-called literary and monetary arena has resurfaced by (the term epidemiological literature or epidemiological literature). And that which the poets had told him recorded bitter poetic experiences; in which the size of the agony began, and the cruelty of the scene, The impact of the plague on the environment and society at the time; and describe the magnitude of the tragedy, giving rise to the duty of consolation. From these poet Ali al-Darwish (1796m-1853) and poet Nikola El estambuly (1763m-1828), they each dealt with the epidemic in its poetic production, which struck the country in the eighteenth century ad, In a poetic experience that deserves to be identified and demonstrated, and to know what it has and what it is; to stand on the differences and reach the veins to inspect their March, and to follow their course; a clear manifestation of what has been hidden, Perhaps it is a finger that contributes to the reference to this kind of literature; to collect the diaspora, and the signs that it has written about. Thus, the research came in an introduction, a process, and four points, with a conclusion, sources, and references.
Keywords: Literature - epidemics - discourse - reality – impact.

مقدمة:

لا يخفى على الغبي والنبيه، والحليم والسفيه، أن الأدب مرآة عاكسة للواقع، ولعل ذلك يتضح جليا حين نطالع الشعر الجاهلي الذي يعد أحد أهم المصادر للفترة التي سبقت الإسلام؛ حيث كان الشعر للعرب ديوانا، ولمفاخرهم ومآثرهم كتابا، ولأيامهم وحروبهم سجلا.

هذا، ولا يقل النثر في الاهتمام بالواقع وتفاصيله شأنا عن الشعر، فالفنان يُعالجان قضايا اجتماعية، ويرصدان واقعا حيايتا، ويحكيان تجارب إنسانية مرَّ بها الإنسان.

ولما جاء الإسلام قام الأدب بوظيفته، فنقل الصورة المثالية التي أحدثها الإسلام في الواقع الجاهلي تغييرا وتأثيرا.

وحديثا ضرب فيروس كورونا (كوفيد 19) العالم ضربة أصابت منه المقاتل، وأذقته وبال أمره عاجلا غير آجل، فهرعت الأقلام لتكتب عنه وتخط، وسارعت المقالات فتقصد حينا، وحينا تشطط، والتفت الأدب إلى ما آل إليه المآل، وصار إليه الحال، فدوّن وكتب، وأوجز وأسهب، يسجل ويساجل، ويناقش ويجادل، لكنه في عرض نشأة مصطلح الأدب الوبائي غافل أو متغافل، فأخذ الباحث العزم، ولزمه الحزم، وبادره الحسم ضاربا في تاريخ المصطلح بغية تحديده،

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

وهدف تحريره، مسافرا في أرضه وسمائه، وخضرائه وبيدائه، ليقف على الأسباب، ويصفي الحساب، ويزيل القشر عن اللباب، مستعينا بالله ..

وقبل ذلك، حاول البحث أن يعرض لتاريخ الأوبئة، ومصنفات العلماء حولها، مستعرضا ما نظمه الشاعران:علي الدرويش، ونقولا للاسطمبولي محاولا دراسة قصائدهما في الطاعون وتحليلها؛ وهما شاعران ظهرا في القرن الثامن عشر، ولعلها أقرب الأزمنة لنا والتي ظهرت فيها الطواعين، ونالت من العباد والبلاد، وأهلكت النسل من إنسان وحيوان على حد سواء؛ ولعل اختيارهما تحديدا دون غيرهم؛ لكثرة ما ظهر من كلام في إنتاجهم الأدبي، ومنتوجاتهم الشعرية؛ لنقف على واقع أدب الأوبئة في تلك الحقبة من الزمان، وأثره في شعرهم من نواح شتى، وجهات متعددة؛ وكذا للمقارنة بين هذين النموذجين من الشعراء؛ لنسبر الفروق الدقيقة في طريقة التناول وسبل المعالجة لهذه الظاهرة في شعرهم، من جهة اللغة والصور والتراكيب والأخيلة وفنية العرض...إلخ؛ ورغم أنهما في عصر واحد إلا أن الاختلاف بين وظاهر، وهذا – لعمري – سنة الله في خلقه وجبلته في مخلوقاته ولوكانت على مستوى الفكر والفن والإبداع .

أولا: الطاعون والوباء ومسار الإنسان الطويل:

في نأي عن مألوف الزمان وتطابقه ينيخ بعالمنا الإنساني مطاياه وباء، وصف بأنه كارثة إنسانية عرف باسم "كورونا" أو "كوفيد 19.

والحقيقة أن سنة الله في خلقه الابتلاء، وسنته لا تتغير: **"وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ"** الأنبياء/35.

ولا يكاد يختلف طريف العالم عن تليده؛ إذ سنة الله فيهما قائمة، فكم حصدت الأوبئة والطواعين قديما نفوسا، وأزهقت أرواحا، وأجبرت الناس على ترك منازلهم والظعن إلى بلاد أخرى، بل ألجأتهم إلى سكنى الجبال أحيانا.

واليوم، وبسبب هذه الجائحة ضاق الناس زرعا بأنفسهم، وبمن حولهم، فيفر بعضهم من بعض فزعا، وينزوي بعضهم عن بعض هلعا، كالحُمر لاقت قسورة! وصار حال كل واحد منهم:

كأنَّهُ فَارِسٌ لا سَيْفَ فِي يَدِهِ ** وَالْحَرْبُ دَائِرَةٌ والنَّاسُ تَضطَرِبُ

أوْ أنَّهُ مُبْحِرٌ تَاهَتْ سَفِينَتُهُ ** والْمَوْجُ يَلْطِمُ عَيْنَيْهِ وَيَنْسَحِبُ

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

أوْ أَنَّهُ سَالِكُ الصَّحْرَاءِ أظْمَأهُ ** قَيظٌ، وَأَوْقَفَهُ عَنْ سَيْرِهِ التَّعَبُ

ويحدثنا التاريخ الإنساني عبر مصادره المختلفة المقدسة وغير المقدسة عن أقوام كانوا أشداء ثم أمسوا صرعى، وأضحوا هلكى، فلا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزا:

"فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" البقرة/59.

ثم طاعون "شيرويه" الذي ضرب قوم فارس، وكذلك طاعون عمراس الذي ذكرته مصادر التاريخ الإسلامي وراح ضحيته آلاف المسلمين، وعلى رأسهم نفر من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كمعاذ بن جبل، وأبي عبيدة بن الجراح، وكان ذلك في العام الثامنَ عشر من الهجرة النبوية، ومات من العسكر في هذا الطاعون خمسة وعشرون ألف نفس كما جاء في "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل [3].

ولم يزل الطاعون بالقدس إلى مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وأفنى خلقا من الشباب والنساء وأهل الذمة.

لكننا ومع شدة ذلك الأخذ، وقسوة ذاك الطاعون، سيقف هذا البحث وقفة مغايرة لكثير من الأوطرحات والمطارحات؛ حيث سنتناوله من منظور أدبي، ونطالع آثاره وأضراره كما رصدها النظم الشعري علنا نهتدي إلى شيء لم يهتد إليه السابقون.

ومما يتناوله المؤرخون أن الطواعين المشهورة بعد الإسلام خمسة:"طاعون شيرويه، ووقع ببلاد الفرس زمن النبي – صلى الله عليه وسلم –، وطاعون عمواس، زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بالشام سنة سبع عشرة من الهجرة، وطاعون الكوفة سنة تسع وأربعين من الهجرة، وطاعون"الجارف" بالبصرة سنة سبع وستين من الهجرة وطاعون "الفتيات" الواقع بالبصرة سنة سبع وثمانين للهجرة، وسمي بطاعون الفتيات لكثرة قتلاه من العذارى".

[3] – مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان– مكتبة دنديس – 1420هـ – 1999م.1/318.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

ثانيا: الطاعون في الأدب العربي:

لقد شهد العالم على مر التاريخ وبخاصة في الحقب الأخيرة من الزمن كثيرا من الكوارث التي كبدت البشرية جمعاء خسائر مادية فادحة وبشرية تستعصي على الحصر والعد، تفاوتت في الحجم والخطورة والتأثير والتأثر؛ وليس غريبًا على الأدب أن يُواكب الظرف ولا يغض الطرف، فهو مرآة صادقة وعاكسة لما حوله يدور، ولكل الأحداث يفور ويثور، يُسجل اللحظة في عنفوانها، ويُوثقها في مأساويتها؛ مجليا صورها، مستكنها أسبابها، سابرا أغوارها، متوقعا تداعياتها. ومن هنا فلم يعد يخفى على القاصي والداني، أن الأدب مرآة عاكسة للواقع، ونلمس ذلك حين نطالع جميع العصور الأدبية المختلفة بدءا من العصر الجاهلي الذي يعد أحد أهم المصادر للفترة التي سبقت الإسلام؛ حيث كان الشعر– وما زال – للعرب ديوانا، ولمفاخرهم ومآثرهم قرطاسا وكتابا، ولأيامهم وحروبهم سجلا وسجالا. مرورا بجميع العصور وحتى يوم الناس هذا، فسنلحظ تجليات الأدب شعرا كان أم نثرا في التعبير عن الوقائع ورصد المواقع في قوالب أدبية راقية، وأجناس فنية باقية، ومما يجب التأكيد عليه هنا هو أن النثر لا يقل في الاهتمام بالواقع وتفاصيله شأنا عن الشعر، فالجنسان تناولا القضايا الاجتماعية، ورصدا واقعا حياتيا، وحكيا تجارب إنسانية مريرة سواء بسواء.

وممن ضربهم الطاعون قديما بيده، وعضهم بأنيابه، الأدباء والشعراء والخطباء، حتى صار جزءا من تراجمهم، فلا يكاد يخلو كتاب في التراجم، أو تاريخ الأدب العربي من إشارة خفيفة، أو ظاهرة إلى الوباء، وما نتج عنه من أسباب أودت بحياة ذاك الأديب، أو هذا العالِم.

وعني الأدب منذ القدم بالحديث عن الكوارث سواء كانت على المستوى الشخصي أو القبلي، أو الوطني، أو الإنساني. فعلى المستوى الشخصي يرصد الشعر مأساة **امرئ القيس** في مرضه حين قال:

فَلَو أَنَّها نَفسٌ تَموتُ جَميعَةً ** وَلَكِنَّها نَفسٌ تُساقِطُ أَنفُسا

وَبُدِّلتُ قَرحاً دامِياً بَعدَ صِحَّةٍ ** فَيا لَكِ مِن نُعمى تَحَوَّلنَ أَبؤُسا [4]

[4] –امرؤ القيس، حندج بن حُجر، ديوان شعر، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 1425هـ/2004م.ص112.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

ومن الشعراء الين اصطلوا بنار الوباء الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام فأسلم **أبو ذؤيب الهذلي،خويلد بن خالد**، فقد قتل الطاعون خمسة من أولاده في سنة واحدة، فجزع لذلك، ورثاهم بقصيدة مشهورة معلومة قوامها تسعة وستون بيتا مطلعها:

أَمِنَ المَنونِ وَريبِها تَتَوَجَّعُ ** وَالدَهرُ لَيسَ بِمُعتِبٍ مِن يَجزَعُ

قالَت أُمَيمَةُ ما لِجِسمِكَ شاحِباً ** مُنذُ اِبتَذَلتَ وَمِثلُ مالِكَ يَنفَعُ

أودى بَنِيَّ وَأَعقَبوني غُصَّةً ** بَعدَ الرُقادِ وَعَبرَةً لا تُقلِعُ

وَلَقَد حَرِصتُ بِأَن أُدافِعَ عَنهُمُ ** فَإِذا المَنِيّةُ أَقبَلَت لا تُدفَعُ

وَإِذا المَنِيَّةُ أَنشَبَت أَظفارَها ** أَلفَيتَ كُلَّ تَميمَةٍ لا تَنفَعُ [5]

فأبيات هذه القصيدة جرت على ألسنة الناس مجرى الحِكم إلى اليوم فهي مشحونة بمشاعر مختلفة متباينة إزاء هذه الفاجعة التي عاشها أبو ذؤيب.

وتأتي فاجعة مالك بن الريب تجسيدا لمأساة شخصية أخرى، هذا الشاعر الغاوي، الذي تاب وأناب، وصدق في توبته حتى صار جنديا من جنود جيش عثمان بن عفان – رضي الله عنه – فهلك في بلاد فارس متأثرا بسم العقرب، ونظم قصيدة خالده من أعاظم المراثي والمآسي فيقول:

وَلَمّا تَراءَت عِندَ مَروٍ منِيتي ** وَخَلَّ بِها جِسمي وَحانَت وَفاتِيا

أَقولُ لأَصحابي اِرفَعوني فَإِنَّهُ ** يَقَرُّ بِعَيني أَن سُهَيلٌ بَدا لِيا

[5] –أبو ذؤيب الهذلي، خالد بن خويلد، ديوان شعر، شرحه وقدم له ووضع فهارسه: سوهام المصري. عني بمراجعته وقدم له: الدكتور ياسين الأيوبي.المكتب الإسلامي–بيروت ودمشق وعمان، ط1، 1419هـ–1998م.ص1.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

فَيا صاحِبي رَحلي دَنا المَوتُ فَانزِلا ** بِرابِيَةٍ إِنّي مُقيمٌ لَيالِيا [6]

وذاق مرارة هذه الكاس المترعة بالموت أبو الأسود الدؤلي اللغوي، فقد مات مصابا بالطاعون سنة 69هـ كما ذكر ذلك ياقوت الحمودي في معجم الأدباء.

ويأتي ابن حجر ليؤلف مصنفه "بذل الماعون في فضل الطاعون" وذلك بعد أصابت يد الطاعون ثلاثا من بناته.

وحين نطالع سيرة الزبيدي صاحب تاج العروس، يذكر غير مصدر من المصادر التي ترجمت له أنه مات بالطاعون في ذات اليوم الذي أصيب فيه.

ويورد ابن حجر في كتابه بذل الماعون مقامة لابن الوردي عن الطاعون سماها:"رسالة النبا عن الوبا" تناول فيها تاريخ ما أسماه"طاعون الأنساب"الذي استشرى عام سبعمائة وتسعة وأربعين للهجرة الموافق عام ثلاثمائة وتسعة وأربعين وألف للميلاد، وهو سادس طاعون وقع في الإسلام كما أخبر في مقامته. [7]

وارتكز ابن الوردي في مقامته في الحديث عن الطاعون والوباء على السخرية أو ما يعرف بالكوميديا السوداء التي تضحك لكنه ضحك كالبكا، سخرية ترسم الواقع كما هو، وكما تراه عينه هو لا غيره، فهما في الحقيقة واحد لا اثنين، فهما في واقعية الرؤية وجهان لعملة واحدة.

سخرية ابن الوردي في مقامته سخرية شاملة، يمازجها نوع من التناص المتحرر شيئا ما، فتراه يسخر من الشعر ونصوصه، والنثر ودروسه، والمرض، والماكن والبلدان، والسياسة وأصحابها، فهي كما قلت كوميديا سوداء تبكينا بقدر أو يزيد عما تضحكنا، وتلطمنا بقدر ما تمسح عن وجناتنا الدموع المتحدرة من عيوننا جراء هذا اللطم.. فهي تجمع بين الشيء ومقابله..وتلك هي المأساة!

[6] –مالك بن الريب، ديوان شعر، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مج 15، جـ1، ص91.

[7] –انظرها في "بذل الماعون في فضل الطاعون، ابن حجر العسقلاني، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب، الرياض، دار العاصمة، ص371.

وتتميز رسالة ابن الوردي في أنها قدمت صورة مفصلة عن انتشار الوباء في حلب، وعن حال أهل هذه المدينة المنكوبة، وهي صورة أهملها المؤرخون، واكتفوا بإشارات عابرة"[8]

كما يذكر ابن حجر في بذل الماعون مقامة أخرى للخليل بن أيبك. كما يورد ما ذكره المقري في أزهار الرياض(125/1- 132) عن مقامة في أمر الوباء لأبي علي عمر بن علي بن الحاج السعيدي المالقي.[9]

ويصنف الإمام السيوطي(ت911هـ) كتابا أسماه:"ما رواه الواعون في أخبار الطاعون" اختصر فيه الإمام السيوطي بذل الماعون لابن حجر، وأورد فيه مقامة ابن الوردي، والصفدي، والمقامة الدرية في الطاعون في البلاد الرومية والحلبية والشامية والمصرية. [10] ومما جاء فيها:"الله لي عدة، في كل شدة، حسبي الله وحده، أليس الله بكاف عبده، اللهم صل على سيدنا محمد وسلم، ونجنا بجاهه من طغيان الطاعون وسلم. طاعون روَّع وأمات، وابتدأ خبره من الظلمات، يا له من زائر، من سنة خمس عشرة دائر..."[11]

وذكر الخطيب ابن نباتة عبد الرحيم بن محمد (ت374هـ) خطبتين في ذكر الموت والوباء في ديوان خطبه. [12]

وصنف المقريزي كتابه"إغاثة الأمة بكشف الغمة، وذكر فيه كثيرا من المصائب التي نزلت بالناس في أزمان متفرقة.

والآية من هذا كله أن ما يظهر من فيروسات وأوبئة في مسار الإنسان الطويل سوف يظل تحديا للجنس البشري على هذه الأرض، وتلك هي سنة الحياة، وقانون التنازع بين الصحة والمرض، والحياة والموت. وتلك هي قصة الجنس البشري على هذه الأرض.

---

[8] – رائد عبد الرحيم، رسالة "النبا عن الوبا" لزين الدين بن الوردي ت749هـ، دراسة نقدية. مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية) مجلد 24(5)، 2010.

[9] –انظرها في " أزهار الرياض في أخبار عياض" للمقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، شهاب الدين. القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات المتحدة.125/1-132.

[10] – حققه محمد علي الباز، ونشرته دار القلم بدمشق سنة 1418هـ.

[11] – السابق.

[12] – ابن ناتة، عبد الرحيم بن محمد بن نباتة، ديوان خطب ابن نباتة، تحقيق ياسر محمد المقداد، الكويت، مجلة الوعي الإسلامي1433هـ، 2012م. ص207، 210.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

والطاعون ينفرد عن بقية الكوارث بأنه لا يبقى ولا يذر، حصّادا للبشر؛ فهو أشد وطأة، وأفظع فداحة، وأكثر كارثية في شدة إصابته، وقوة تأثيره، وسرعة انتشاره، وتعدد مصابيه، وكثرة ضحاياه، ومن هنا يبدو تأثيره في الناس ووجدانهم، فيظل عالقا في الذاكرة البشرية، والذكرى الإنسانية، وتبقى أيامه على النسيان عصية أبية!

مصطلح أدب الوباء في الأدب العربي.. بين الأصالة والجِدة

إننا في قضية علاقة الأدب العربي بالوباء، لا نكاد نقطع بشيء من الدُرْجَة أن الأدب العربي عرف مصطلح "أدب الوباء أو الطاعون" تحت هذا المسمى تحديدا، وإن كنا طالعنا مؤلفات وقصائد رصدت الوباء والطاعون والمرض، وإن اتسمت بالقلة لكنها تتناسب مع ندرة وقوع مثل هذه الكوارث من طواعين وأوبئة، كابن الوردي وغيره، وما كتبه شعراء محدثون وقدماء طرفا من أشعارهم عن الطاعون والوباء والزلازل.

ولعل هذا المصطلح لم يعرف بهذا الاسم إلا الآن؛ حيث يعرف في الأدب الغربي بأدب الكوارث، وهذه مقدمة منطقية تقودنا إلى القول إن الآداب على عمومها لم تعرف هذا المصطلح، وثمة ملمح آخر وهو عدم الانتقاص من الأدب العربي وادعاءِ أسبقية الآداب الغربية له في الحديث عن الكوارث.

إن "أدب الطاعون" يمكن إدراجه ضمن أدب الكوارث أو النوازل الذي يتسم بقلة أدبياته بسبب بُعد الشقة بين أزمنة وقوع الطواعين والأوبئة، فقد يمر زمن كثير من الأدباء وتنقضي أعمارهم، ثم هم لا يعيشون وباء، ولا يعرفون طاعونا، فمثلا وقع وباء الأصفر في منتصف القرن الماضي ثم انقضى، وطالت المدة ليأتي كوفيد 19 في منتصف القرن الحادي والعشرين، فكثير من أدباء اليوم لم يعيشوا وباء القرن الماضي.

إننا لو تجردنا من أهوائنا، ورؤانا الفكرية، واتفقنا على أن المصطلح ليس له وجود مستقل، إنما هو فرع لأدب الكوارث أو النوازل، وإذا اتفقنا على هذا سنجد الأدب العربي سيدا لكل الآداب في الكتابة عن هذا الأدب. فليس أكثر منا نحن العرب مأساوية!

ألم يكتب الشعراء في سقوط ممالك الأندلس وإماراتها؟ ألم يصف أبو البقاء الرندي تلك الكارثة التي حلَّت ببلاد المسلمين قاطبة، عمومها دون آحادها، فقال:

وَلِلحَوادِثِ سلوانٌ يُهوّنُها ** وَما لِما حَلَّ بِالإِسلامِ سلوانُ

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

أليس ما تعانيه بلادنا العربية اليوم كارثة إنسانية حقيقية؟ ألا يعد تشريد آلاف الأسر وتهجيرها من بلادها، وهلاك كثير منهم جراء هذا التهجير:

مآسي الشام لم يشهد مثيلا ** لها التاريخ أو خطبا جليلا

يدمرها ويجعلها يبابا ** لقيط لا تقل هات الدليلا

إن الباحث على بينة وبصيرة من أن كل ما يعانيه الإنسان في خاصة حياته، وعامة شأنه يمكن أن نطلق عليه كارثة، وساعتئذ يمكن أن نعدل عن تسمية هذا النوع من الأدب"أدب الكوارث" إلى "أدب المآسي"، وهي تسمية- ولا شك- عادلة، تقيم الوزن بالقسط ولا تخسر الميزان في أن الأدب العربي لم يكن بمعزل عن شواغل الإنسان وإن اتخذت هذه الشواغل، وتلك الدواهي مسميات حديثة.

ويتأكد هذا الرأي حين نطالع قصيدة عنترة بن شداد:

دَع ما مَضى لَكَ في الزَمانِ الأَوَّلِ ** وَعَلى الحَقيقَةِ إِن عَزَمتَ فَعَوِّلِ

وهي قصيدة يعرض فيها مأساته الشخصية، وما سببته له من ألم نفسي، بلغ به أن يصفها بقوله:

تِلكَ اللَيالي لَو يَمُرُّ حَديثُها ** بِوَليدِ قَومٍ شابَ قَبلَ المَحمِلِ

ألم يعش عنترة كارثة العنصرية المقيتة التي لا تزال تمهش جسد عالمنا الإنساني، حتى كادت تهوي بسببها أعتى ممالك الدنيا.. الولايات المتحدة الأمريكية مؤخرا؟!

أليس ما تعانيه بلادنا العربية اليوم كارثة إنسانية لا يتصورها العقل البشري؟!

ألسنا نرى المشردين والمهجرين، والقتلى، والمصابين تزدحم بهم حارات وأزقة وشوارع الشام وليبيا وبغداد وجل عواصمنا العربية والإسلامية؟!

إن الباحث يزعم أن نظرة بعمق وحق، وإرجاعا للبصر والبصيرة كرة بعد أخرى في محالة تحديد مصطلح "أدب الكوارث" أو النوازل، أو أي تسمية يشاؤها باحثو الأدب يدفعنا دفعا إلى توسيع هذا المفهوم، فلا يقتصر على وباء أو مرض أو طاعون بل يمتد ليشمل كل ما يعانيه الجنس البشري.

ثالثا: حياة علي الدرويش ونقولا الاسطمبولي.. لمحات وإشارات:

1. **علي الدرويش** (1211 – 1270 هـ) (1796 – 1854 م)

اسمه ونسبه: علي بن حسن بن ابراهيم الأنكوري المصري، المعروف بالدرويش. أديب، كاتب، شاعر. ولد بالقاهرة في غرة المحرم 1211هـ ونشأ بها، وأدخل الازهر.

شيوخه: أخذ عن الشيخ المهدي والقويسني والصاوي وغيرهم، ثم مالت نفسه إلى الأدب فانكب عليه، ثم تفرغ للكتابة وقرض الشعر،

مكانته الشعرية والأدبية: هو شاعر غزير الإنتاج له ما يزيد على (7000) بيت من الشعر موزعة على ما يربو على (600) قصيدة، تنوعت أغراضها، بين الشعر الاجتماعي والسياسي، والوصفي، والغزلي، ترسم صورة شبه كاملة للحياة في عصره، ويكاد يكون سجلاً لرجال عصره من علماء ورجال دين ونقباء الطرق الصوفية والأشراف والأعيان وغيرهم ممن شكلوا مجتمع القاهرة آنذاك، منحته شاعريته شهرة فاق بها شعراء عصره، تميزت له قصائد في الغزل والبديع (يضم ديوانه قسمًا كاملاً لما يسمى بشعر الصنعة الذي ينم على قدراته اللغوية وثقافته العربية العميقة) يصف شوقي ضيف صنيعه بأنه ضرب من الشعوذة أصبح بها الشعر فنًا رخيصًا يعبر عن أعمال آلية وتمارين هندسية صعبة الحل.

وفاته: وتوفي بالقاهرة في 27 ذي القعدة1270هـ.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

آثاره: الدرج والدرك في مدح خيار عصره وذم شرارهم، ديوان شعر سماه الإشعار بحميد الأشعار جمعه تلميذه سلامة النجاري، فطبعه على الحجر في مصر في 482 صفحة وعنونه بالإشعار في حميد الأشعار)[13] وسفينة في الأدب، وتاريخ محاسن الميل لصور الخيل، ورحلة.[14]

2. نقولا الترك (1176 - 1244 هـ = 1763 - 1828 م)

اسمه ونسبه: نقولا بن يوسف الترك، ويقال له الاسطمبولي: ولد في الحقبة التي شهدت مظاهر الاختمار الفكر في الشرق الأدنى، ولد سنة 1763، في دير القمر، عاصمة لبنان إذ ذاك. شاعر، له عناية بالتاريخ.

انتقلت أسرته اليونانية الأصل، القسطنطينية المنشأ، إلى الكثلكة في أوائل القرن الثامن عشر، فنزلت"بلد الأمير" لاجئة إلى ملاذ الحرية الوحيد في الإمبراطورية العثمانية. فنسبها الوطنيون إلى "التركية" وعلق لقب"الترك" بشاعرنا. لُقبَ "بالمعلم" دلالة على ممارسته تعليم القراءة والخط بعض أبناء الأسر الارستوقراطية. سافر إلى مصر واستخدم كاتبا في حملة نابليون الأول. وعاد إلى لبنان، فخدم الأمير بشيرا الشهابي. وله في مدحه قصائد. وعمي في أواخر أعوامه، فكان يملي ما ينظمه على ابنته وردة.

منزلته الأدبية والشعرية: جاء ديوانه "وقد رافق حياته الخاصة والعامة، محتويا على نحو خمسمائة قصيدة ومقطوعة، تتناول بلغة القرن التاسع عشر، حقبة حافلة بالأحداث من حقب تاريخنا المستطيل، فتصورها سياسة وإدارة، واجتماعا، وثقافة، ودينا، وأخلاقا، وعادات وتقاليد، فوق ما تشير إليه من أحداث طبيعية وغرائب مناخية، وكوارث مفاجئة. وإذا

[13] – لويس شيخو44/1

[14] – معجم المؤلفين (خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية (ط) السندوبي: أعيان البيان 46 – 59، زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية 4: 234، البغدادي: هدية العارفين 1: 775، محمد عبد الغني حسن: أعلام من الشرق والغرب 56 – 66، سركيس: معجم المطبوعات 873، 874، عمر الدسوقي: في الأدب 39، 40، شيخو: الآداب العربية 1: 79، 80، فهرس دار الكتب المصرية 3: 13، الملحق الأول للجزء الثالث 7،34: 90، 138، البغدادي: إيضاح المكنون 1: 88، فنديك: اكتفاء القنوع 485 474 , 473.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

بالديوان ذو قيمة تاريخية ولغوية وشعبية لا يصح أن يستهين بها المؤرخ البصير الواعي لجميع تطورات المجتمع". [15] أما سنة الوفاة فالأرجح أنها سنة 1838، على ما أثبته لويس شيخو في تاريخ الاداب العربية في القرن التاسع عشر"، وفي كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية" استنادا إلى ما وجدوه في مقدمة تاريخه المطبوع في باريس؛ وعلى ما ذكره عيسى اسكندر المعلوف في "دواني القطوف" ثم في "المشرق". [16]

آثاره: " تاريخ نابليون – ط " جزء منه، و " تاريخ أحمد باشا الجزار – خ " ومذكرات – ط " و " ديوان شعر – ط "و " حوادث الزمان في جبل لبنان – خ " من سنة 1109 هـ، إلى 1215[17].

الطاعون في شعر علي الدرويش ونقولا الترك.. دراسة وتحليل

لقد تناول كلا الشاعرين موضوع الوباء عارضين لأسبابه تارة والوقاية منه تارة أخرى، ومهنئين أحيانا، ومواسيين أحيانا أخرى

بالنظر في ديوان علي الدرويش نجده أفرد سبع قصائد كاملة للحديث عن الطاعون في فضاءات خطابية مختلفة فأحيانا يعرض لأثر الطاعون على البشر، ومرة لأثره على الحيوان، وفي مناسبة ثالثة يقدم نصائح يتوجب على المنصوح الأخذ بها للنجاة، وفي قصيدة أخرى يهنئ بذهاب الطاعون، ومرة معزيا ومصبرا.

في القصيدة الأولى وقوامها تسعة عشر بيتا، قال مخاطبا بعض الأعيان الذين أصاب الطاعون بهائمهم في قصيدة مطلعها:

لك العمُر، مات الثورُ والعجل قد ماتا ** ومات أخوُه، واثنتان فما باتا

15 – نقولا الاسطمبولي، نقولا بن يوسف الترك، ديوان المعلم نقولا الترك، ضبط نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه فؤاد إفرام البستاني، لبنان، بيروت، وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، مديرية الآثار، 1949، مقدمة الديوان ص ط

16 – السابق.

17 – معجم المطبوعات 630 و406، وآداب زيدان 4: 284 وآداب شيخو 1: 18 و36 – 40 ورواد النهضة الحديثة 50 – 54 ومخطوطات الظاهرية 143 و 770.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

تعيش وتبقى حيث ماتت بهائمي ** ونظْم دراري عقدِها صار أشتاتا

ومن قبلها ماتت ثلاثٌ وبعدها ** فقدنا حمارًا ثم من بعده شاَة

كسيارة السبع الطباق طوالعًا ** مجرتها ترهو بها صرن أمواتا

وعُطِّلت الطاحونُ فالجحش لم يدر ** كما عُطِّل المحراث فالطين قد فاتا[18]

وهي قصيدة دعابية ساخرة، تخلو من الشعور بالأسى، والإحساس بألم الطاعون؛ لأنها في ظني ترصد ما وقع للبهائم التي غالبا لا يكون الأسى عليها ذا شأن لا سيما عند الأغنياء من الناس، كما يلاحظ أنه بدأها بجمل خبرية عُبِّر بها من صديقه في رسالة يشكو إليه فيها ما خلفه الوباء المنتشر في بهائمه، فأراد الدرويش أن يسلي ويسرِّي عنه فكتب هذه القصيدة التي تضج بالسخرية والمزاحة من البيت الأول فيها إلى آخرها، فقد استخدم لغة قائمة على السخرية المعتمدة على خفة الظل من جانب الدرويش، وقبول هذا المزاح من قبل صديقه، وتصوير خطابه إليه على أنه مجموعة من الطلاسم التي لا يستطيع فهمها، فيقول مازحا:

أتاني كتابٌ منك طورًا أخالُه ** كنثرٍ وطورًا أحسب النثر أبياتا

وما فيه توضيح ولا خبرية ** فلو جسَّموا معناه تلقاه أصواتا[19]

ثم يختم قصيدته ببيت فيه دعاء يحاول من خلال إزاحة ما في نفس صاحبه من آثار الوباء، وتعويضا عما خسره فيقول:

ودم أوحَد الأقران تُفْدى من الوَبا ** وتسلُم مما بالبهائم قد واتا[20]

---

[18] –علي الدرويش، **ديوان شعر**، نسخة قديمة غير مطبوعة، وجدتها مصورة على شبكة الإنترنت، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، ص93.

[19] – السابق.

[20] – السابق.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

وفي قصيدة أخرى يبين فيها أن سبب الطاعون الذي ضرب بهائم الأعيان إنما هو بسبب ذنوبهم، وهو في أصله عقاب لما اقترفته أيديهم، موضحا أن عاديات الزمان لا تقتصر على البشر، بل تمتد لتنال أياديها البقر فيقول واصفا ومؤرخا عام فصل البهائم، ومعزيا فيها بعض الأعيان ومداعبا:

حوادث الدهر لا تختص بالبشرِ ** فقد تعدت على الجاموس والبقرِ

فصل البهائم من أم الكتاب أتى ** بكل باب فسُدَّت طاقة التجر

فصل البهائم من أم الكتاب أتى ** بكل باب فسُدَّت طاقة التجر [21]

إنها الأقدار التي لا يمكن تغييرها، وليس بالإمكان تفسيرها، على حد قول الجواهري:

تجري على رسلها الدنيا ويتبعها ** رأي بتعليل مجراها ومعتقُد

أعيا الفلاسفة الأحرار جهلهم ** ماذا يخبي لهم في دفتيه غُد

طال التمحل واعتاصتْ حُلومهُم ** ولا تزالُ على ما كانتِ العقُد [22]

ويؤكد الدرويش على ضرورة الإيمان بالغيب، وتقديم مشيئة الله على كل مشيئة، والثقة فيه وحده سبحانه وتعالى فيقول مضمنا قوله آي الذكر الحكيم:

ولا تقولن إني فاعلٌ بغدٍ ** إلا إذا شاء فالمغثُّر في غِيرِ [23]

---

[21] – السابق ص171.

[22] –الجواهري، محمد مهدي الجواهري، ديوان الجواهري، جمعه وحققه وأشرف على طبعه دكتور إبراهيم السامرائي ودكتور مهدي المخزومي ودكتور علي جواد الطاهر ورشيد بكناش. بغداد، العراق، مطبعة الأديب البغدادية، 1973، الجزء الثاني ص351.

[23] – ديوان علي الدرويش ص171.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

فهو يذكر بأن نزول الوباء إنما هو بسبب البعد عن الله، وخطأ الاعتقاد عند كثير من الناس الذين يعتملون حركة النجوم منظمة لحركة حياتهم، والنظر إليها بأنها المسيرة للأقدار، المنفذة والمنقذة للآجال، معلنا فساد هذا الاعتقاد مبطلا إياه بقوله تعالى:"**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (23) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا** (24). (الكهف:23- 24).

فما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة، انظر إليه يقول:

عاث الوبا فكأنّ المالكين لها ** يعاقبون بذنبٍ غير مغتفر! [24]

لكن، ومع هذا فكل شيء بقدر،وكل حي له أجل،وكل شيء عند الله مكتوب، فالتسليم التسليم، والرضا الرضا، هكذا يدعو الدرويش من ابتلي في بهائمه أو حتى في نفسه:

يا أيها الشيخ لا تغضب لما فعلت ** بها المنون ولا تهرب من القدر

كل له أجل ما كان منتقصًا ** مع التراخي ولا يزداد بالحذر [25]

ولا ينسى أن يختم قصيدته بدعابة ومزاح للتخفيف والتلطيف فيقول:

تفديك آلاف أثوارٍ إذا هلكت ** فأنت أكرم من ثور بألف شري

كلاكما خلفٌ عن فقد صاحبه ** إن صار مبتدأ لذلك الخبرِ

لا نال جلدك في الدنيا أساكفة ** ولا تخنك يد السلاخ بالشفرِ [26]

وثالث قصائده في الوبا، إنما هي نصائح وإرشادات فيما ينفع أيام الوباء، حاول فيها الدرويش أن يقدم نصائح طبية، وإرشادات وقائية في اثنتي عشر بيتا مطلعها:

---

[24] – السابق.

[25] – السابق.

[26] – السابق.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

أدلك في هذا الوباءِ المغلبِ ** دلالَة نصح أخلصت عن مُجربِ [27]

هكذا بدأ الدرويش يسرد نصائحه الصحية في قالب شعري، وهي النصائح التي لابد أن يسير عليها الإنسان في طريق التغلب على الوباء، حيث قدم نصائحه الشعرية كالآتي:

لا تشبع من شرب الماء، وعاهد بمسح الخل والورد، وأكثر من الاغتسال، ولا تعش إلا في أماكن نزهة، ولا تمش في ريح وشمس، ولا تنم إلا وبطنك خفيفة من الطعام، ولاتزاحم الأنفاس، وشرب الفواكه بماء دافئ، مع البقاء في المترل والذهاب إلى الفيوم أن أمكن، وعدم مزاحمة الأنف.

إنها نصائح غالية كما يصفها هو، من اهتدى إليها حمى نفسه وأهله من هذا الوباء القاتل:

إذا شاء ربي واهتديت لها فقد ** غنيت إذا لازمتها عن مطبب [28]

وأول هذه النصائح أن يحرص على شرب الماء الزلال ويتضلع بما عذب منه:

فكُل مرةً في اليوم ما يشتهى ولا ** تخلط ولا تشبع بتقليل مُشربِ [29]

ثم يوصي بأكل الفاكهة المغسولة بماء الخل والورد:

وفاكهة دع نَّيها كل لما استوى ** وحاذر عليها الشرب واصغ لمطرب [30]

ولا تعش إلا في أماكن نزهة، ولا تمش في ريح وشمس:

وعاهد بمسح الخل والورد واعتكف ** عن الغيظ والقيظ وعن كل مُتعبِ

[27] – السابق ص85.

[28] – السابق.

[29] – السابق.

[30] – السابق.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

ولا تمش في ريح وشمس ولا تطل ** وإن ألزَمتْ في الصبح والعصر فاركبِ [31]

كما يتوجه بالنصح في التخفيف من الطعام قبل النوم، لتخرج الأنفاس وتدخل مستريحة لا تعوقها تخمة الطعام:

وإياك قبل الهضم نومَك واجتنب ** مخالطة في الصحو نوع تجنّب

مزاحمة الأنفاس تفسد بعضها ** وهل تفس النيران غير المقرب [32]

ومن وصاياه: الزم الأماكن النظيفة، واخرج إلى الحدائق، وداوم على غسل اليدين وجميع الحواس:

وكف الحواس الخمس عما تمُجّه ** وداوم بغسل فاتر في محجّب

ولا تبق إلا في أماكن نزهةٍ ** مترهة عن مكرهات ومترب [33]

ولا ينسى أن يؤكد أن هذه النصائح إنما جاءت من بصير مجرب، وأن الله خلق جوارح الإنسان لحكمة فإذا تغيرت وظيفتها تحولت في نتائجها:

إلٰه حكيمٌ خص كلًّا بحكمةٍ ** فذلك دِرياق وذا سم عقرب [34]

تلك كانت نصائحه المخلصة التي تتماشى مع نصائح الطب الحديث الآن المرشد إلى الوقاية والتباعد الاجتماعي والحرص على النظافة.

وقد وحوي ديوانه أيضا التهنئة بقدوم أصدقائه الذين ارتحلوا إلى الفيوم والقضاء على الوباء كما يدل ديوانه، كما حوى الكثير من مدحه للأمراء والعلماء، وكذلك المراثي الحزينة، وقد نجا الشاعر من الأوبئة التي وضع لها نصائح صحية، وعاش عمرا طويلا، ومما حوى ديوانه مهنئا بذهاب الطاعون قصيدته التي قوامها سبعة عشر بيتا مطلعها:

---

31 – السابق.

32 – السابق85.

33 – السابق.

34 – السابق.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

بشرى المناصب هنتها السلاماتُ ** من الوباء فنفديها بمن ماتوا

عام مضى فيه راعتنا مصائبه ** وجاء عامٌ مضت عنه المصيباتُ

فإن مضى من مضى والبيكُ حافظه ** مولاه فلْتغْتَفِرْ للدهر زلاتُ

فداؤه الروح والدنيا وما ملكت ** يد العلا وهي في هذا قليلاتُ [35]

وفي قصيدته الخامسة يهنئ حضرة نقيب السادة الأشراف المرحوم السعيد البكري بذهاب الطاعون

نهني النفس بشرى بالنجاةِ ** من الطاعون أدهى المدهماتِ

وقاك الله منه داء موتٍ ** تهون لديه كل المقتلاتِ

فكم أخلى من الأزواج بيتًا ** ووَلّى بالبنين وبالبناتِ

أعذتك منه باسم الله لما ** سقى الأرواح كاسات المماتِ

إذا سلمت بنو الصدّيق منه ** فليس بمشكل في المشكلاتِ [36]

فالتهنئة إنما جاءت للنجاة من خطر كبير، هو داء قاتل، تتقاصر أمامه كل الدولوهي والأرزاء، إنه سيل جبار يعصف بالرجال والنساء والبنين والبنات. فلا يمكلك أمامه إلا الاستعاذة وطلب العون من الله العلي القدير، وحينها تكون السلامة، ويكون النجاة، وحاله حال المتنبي حين قال:

[35] – السابق ص91.

[36] –السابق ص92.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

وَما أَخُصُّكَ في بُرءٍ بِتَهنِئَةٍ ** إِذا سَلِمتَ فَكُلُّ الناسِ قَد سَلِموا [37]

وفي مناسبة أخرى قال مادحا سعادة مصطفى باشا العروسي، شيخ الجامع الأزهر، ومهنئا حضرته بذهاب الهواء الأصفر ومؤرخا سنة 1266هـ:

إن الزمان مبشرُ ** ولك الهناء الأكبرُ

ذهب الوباء وأشرقت ** رتبٌ بمجدك تُزهرُ

لما انقضى الطاعون قد ** أضحت حياة تُشكَّر

بسلامة الحسب الذي ** عنه الفضائل تُؤثَر

عيُن الإمارة والمعا ** لي العارفُ المُستبصِرُ

نسل النبي ومن له ** مجْدٌ علاه أشهَرُ

فله السلامةُ دائمًا ** مما يَضُرُّ ويَقْهَرُ [38]

أما قصيدته الأخيرة فيمدح فيها "غيطاس أفندي الروزمانجي" ومهنئا له بذهاب الطاعون ومعرضا ببعض خصاله، مطلعها:

سَلمت لعصرنا هذا وباؤا ** وقد ساء الجميع به وباءُ

وسَامحنا الزمان بما جَناه ** إذا غيطاس كان له البقاءُ

[37] –عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي ، 1407هـ، 1986م، الجزء الرابع ص 92.

[38] – ديوان علي الدرويش، ص 148.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

فُديتَ بمن كرهت وهم ثلاثٌ ** فثالثهم قضى فيه القضاءُ

فما تركوا لغيرِ الموت لمًّا ** رأوا أن الكبير لك الفداءُ [39]

الوباء في شعر نقولا الترك:

وأما نقولا الترك فكان شعره في الوباء أقل عددا من علي الدرويش، وإن تناول المناسبات والمعاني التي تناولها علي الدرويش، فجاء شعره في ثلاث قصائد، ومقطوعتين.

وكان من عادة المعلم نقولا الترك أن يصف في شعره حياته وحياة أنسبائه وأصدقائه، وبعض المواسم والأعياد، بل في الحياة الجارية الرتيبة، وأحداثها المتنوعة من عادية كالولادة والموت، ومن غريبة مفاجئة كهجوم الأوبئة وما تتطلب من طرق وقاية، وأنواع علاج.

"وللشاعر في هذا الباب أرجوزة شهيرة ضمنها كل ما يعرف في عهده عن وباء الطاعون من دلائل وأوصاف، وكل ما كان يطلب من السكان في حال ظهور الوباء من احتياط واهتمام، مستعملا الألفاظ الوضعية والمصطلحات الخاصة، مما يجعل للأرجوزة قيمة لغوية في هذا الموضوع"[40]

لكنّ الملاحظ أن نصائح نقولا الترك أشد تخصصية وأقرب إلى تعليمات الأطباء منها إلى العادات البيئية المتعارف عليها. ففي قصيدته البالغ عدد أبياتها ثمانية وسبعين بيتا يقدم نصائح غذائية ووقائية أقرب إلى التخصصية فيقول مجيبا عمن سأله:

يا طالبًا حقيقة الأنباء ** والحكم فيى ماهّيةِ الوباء

والواضح أنه بهذا الأمر خبير بصير، وإلا لما توجه إليه السائل والطلب للحكم والنصيحة والإرشاد. ويدل على بصيرته ورايته بالوباء من الناحية العلمية وصفه بانه يسري في الجسم فيلتصق به لا يفارقه، وفي النفس لا يبرحها، وأنه وباء معد، ينتقل باللمس:

---

[39] – السابق ص 73.

[40] –نقولا الاسطمبولي، نقولا بن يوسف الترك، ديوان المعلم نقولا الترك، ضبط نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه فؤاد إفرام البستاني، لبنان، بيروت، وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، مديرية الآثار، 1949، مقدمة الديوان ص ز.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

أن الوبا سمّيةٌ دَبّاقه ** لصّاقةٌ نفاذةٌ خرّاقه

يسيح في الأبدان سيح الدهنِ ** إذا سرى في الصوف أو في القطنِ

وشان هذي العلة العضّا له ** والآفة المهلكة القتّاله

إن تعدي الأبدان عند اللمسِ ** وليس فيما قلتُه من لبسِ [41]

ثم يعرض لبعض الأعراض الناتجة عن الإصابة بهذا الوباء من قشعريرة واخضرار اللون وألم تحت الإبط، وخلف الأذن، وفي الإكبتين فيقول:

وبعد ما يعدى ويسرى في البَدَنْ ** ويمخض الاخلاط المخاض اللبن

يبان في الجسم إذا ما اقشعرْ ** من موضع مسترقق أو أكثر

والنفذ منُه رُبَ في الاباط ** يبدو عقيب المخض والاخباطِ

أو رُبَ يبدو خلف اذن الشاكي ** أو في مرّقات من الاوراكِ

فإن بدت نفذتُه محمَرَّهْ ** فأُمنْ وخفها أن بدت مُخْضَرَّهْ

ويذكر نقولا أن الوباء مرض أعيا الأطباء ومنه كُلوا، وأنهم ينصحون بالابتعاد عن أماكن وجوده ففيه السلامة من الإصابة منه:

وحال هذا الداء فيه الكلُ ** حاروا وعن علاجه قد كلّوا

41 – السابق ص 54.

42 – السابق

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

فاستجمعوا الراي به واعتمدوا ** أن حلَّ يومًا في مكانٍ بعدوا [43]

وينتقل من الدليل العلمي بالابتعاد عن مكان الوباء في حال عدم الإصابة به، إلى الدليل الشرعي الإسلامي في حال الإصابة به وذلك بلزوم المكان وعدم مبارحته:

وإن يقل معترضٌ من ينهزِمْ ** يؤثم لأَنَّ الفَرَّ منه قد حُرِم

فانكر وقل سبحانُه رب العلا ** قد قال لا تلقوا بايديكم إلى

فلا يخفى ما في البيتين من استشهاد بأمر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بعدم مبارحة الأرض التي نزل بها الوباء والمسلم فيها، وغدم دخولها إن لم يكن بها مصداقا لقوله تعالى:

"**وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**". [البقرة: 195]

والحقيقة هي قصيدة طويلة حوت نصائح أخرى غير التي ذكرتها، كالإكثار من الأعشاب والبهارت وأكل الخضروات، وأخذ الحيطة من انتقال العدوى، وضرورة الاغتسال جيدا، وتنظيف الفاكهة والأطعمة.

وفي مقام آخر يستمر في النصح والتوجيه والإرشاد لصديقه فقد كتب مراسلا صاحبه المعلم جرجس أبا موسى سينور القاطن في مدينة الشام بقصيدة في عام 1225هـ يرشده ماذا يفعل ويدعو الله له بالنجاة من الطاعون والوباء مطلعها:

لك يا أبا موسى أوح بصبوتي ** وبفرط أشواقي وعظم شجيتي

إن الوباء تواترت أخباره ** وتبادرت من نحو كل مدينة

وإذا توكد سوف ندخل للخبا ** بتوكل منا على ذي العزة [44]

ومع هذه الاحتياطات هناك بعض النصائح الغذائية التي لا يجب أن يغفلها صاحبه:

---

[43] – السابق.

[44] – الديوان ص49.

مجلة الرسالة
AL-RISALAH JOURNAL
ACADEMIC BIANNUAL REFEREED JOURNAL
KULLIYYAH OF ISLAMIC REVEALED KNOWLEDGE AND HUMAN SCIENCES
INTERNATIONAL ISLAMIC UNIVERSITY MALAYSIA

e-ISSN: 2600-8394 VOL. 4. No. 4 Oct (1442-2020)

ومكيف التنباك خُص بجلّقٍ ** ست الورى والمدن أشرف بلدةِ

فلذاك جيتك راجيًا جدواك في ** رطلين منه من عظيم القيمةِ

وبمرطبانٍ من مربا الكابلي ** أو جتربيل خالص في الطيبةِ[45]

ولم يكتف نقولا بالنصائح العامة والخاصة، بل راح يبدي رأيه في فاعلية الوباء في بعض فصول السنة وعدم فاعليته في بعضها. ففي أحد السنين ابتدأت ضربة الطاعون من شهر كانون الأولوكان فصل الشتاء باردا جدا، وإذا كان الوباء من عادته أن لا يبتدي إلا من أيام الربيع وصاعدا إلى دخول فصل الصيف فخالف العوايد في هذه السنة واختلف به رأي الذين يحكمون بأن لا فاعلية له في البرد القاسي فنظم به هذه الأبيات:

لقد زعموا بان البرد يفني ** ويمحي رسم طاعون أضرَّا

فقلت مجاوبًا هذا تسلّي ** وقولٌ لا يرْد قط حرًّا

فكم شمنا وباءً في شتاءٍ ** وفي قلب الثلوج قد استقرَّا

نعم عين الشتا بيضاء بلقا ** ولكن مقلة الطاعون حمرا[46]

وكما نصح وهنأ، فقد رثا وعزّى، فقال في وفاة غنطوس يمين الترك:

مات ابن يمين الذي ذاب الحشا ** أسفًا عليه مذ توسد في الثرى

تبًا لها سنة الوبا أرخت كم ** فيها على توما بكيت تحسرا[47]

---

[45] – الديوان ص49.

[46] – السابق.

[47] – السابق.

وبعد استعراض ما كتبه الشاعران يمكننا أخذ عدة ملحوظات، واستكناه لمح وإشارات:

1. يعد نقولا الترك في عرضه للنصائح والتوجيهات أكثر تخصصية من علي الدرويش، فقد غلب على نصائحه الجانب العلمي في كثير منها، أما علي الدرويش فقد كانت معظم نصائحه موروثة متوارثة، معروفة متداولة.
2. فيما يخص عدد القصائد التي تناولت الوباء والطاعون في ديوان كلا الشاعرين فنجد أن الدرويش خصص سبع قصائد طوال لهذا الأمر بين تهنئة وتعزية وتسرية وتسلية ونصح وإرشاد وتوجيه.
3. أما نقولا الترك فقد حوى ديوانه على كثرته ثلاث قصائد ومقطوعتين تناول فيها ما تناوله علي الدرويش.
4. أما الناحية الفنية المتمثلة في اللغة والصور والأساليب فالأفضلية فيها للدرويش، فلم أجد عنده نبوا عن اللغة الفصيحة، ولا ميلا عن البلاغة العربية الموروثة، فلم تعرف العامية إلى شعره طريقا، ولم تهتد لإكاكة إلى لفظه سبيلا.
5. أما نقولا الترك فجاءت قصائده أقل في القيمة الشعرية من علي الدرويش بدرجات، فهي لا تسمو في شيء، فوق آثار التقليد النظمي المتتابع في عصور الانحطاط، بل قد يقل عنها في قوة سبك وشدة ضبط، وإن كان يزدهي حينا بالصورة الطريفة، والوصف المبتكر، ذلك أن لغة العرب لم تعُن تماما لحفيد اليونان، فظل شاهد عصر جليل، دقيق النظر، مرهف الشعور، صائب القياس، بصير الحكم، ولكنه سيء التعبير.
6. كلا الشاعرين مهتم بقضايا عصره، حريص على إبداء الرأي والنصح، تربطه علاقات وثيقة، وصلات وطيدة مع طوائف مجتمعه لا سيما أهل الفضل وأولي العلم والنهى.

نتائج البحث:

وبعد هذا العرض الموجز عن الوباء في شعر علي الدرويش ونقولا الاسطمبولي، توصل البحث إلى عدة نتائج:

1. ضرب الوباء كثيرا من الأدباء والشعراء قديما حتى صار جزءا من تراجمهم، فلا يكاد يخلو كتاب في التراجم، أو تاريخِ الأدب العربي من إشارة خفيفة، أو ظاهرة إلى الوباء، وما نتج عنه من أسباب أودت بحياة ذاك الأديب، أو هذا العالِم.

2. وعني الأدب منذ القدم بالحديث عن الكوارث سواء كانت على المستوى الشخصي أو القبلي، أو الوطني، أو الإنساني.
3. ظهرت كتابات شعرية ونثرية تناولت الأوبئة والطواعين عند كثير من الشعراء والأدباء كامرئ القيس، ومالك بن الريب، وابن الوردي، والمالقي، وابن نباتة... وغيرهم كثير.
4. لا نكاد نقطع بشيء من الدَّرَجة أن الأدب العربي عرف مصطلح "أدب الوباء أو الطاعون" تحت هذا المسمى تحديدا، وإن كنا طالعنا مؤلفات وقصائد رصدت الوباء والطاعون والمرض.
5. كل ما يعانيه الإنسان في خاصة حياته، وعامة شأنه يمكن أن نطلق عليه كارثة، وساعتئذ يمكن أن نعدل عن تسمية هذا النوع من الأدب"أدب الكوارث" إلى "أدب المآسي"، وهي تسمية- ولا شك- عادلة، تقيم الوزن بالقسط ولا تخسر الميزان في أن الأدب العربي لم يكن بمعزل عن شواغل الإنسان وإن اتخذت هذه الشواغل، وتلك الدواهي مسميات حديثة.
6. يعد نقولا الترك في عرضه للنصائح والتوجيهات أكثر تخصصية من علي الدرويش، فقد غلب على نصائحه الجانب العلمي في كثر منها، أما علي الدرويش فقد كانت معظم نصائحه موروثة متوارثة، معروفة متداولة.
7. فيما يخص عدد القصائد التي تناولت الوباء والطاعون في ديوان كلا الشاعرين فنجد أن الدرويش خصص سبع قصائد طوال لهذا الأمر بين تهنئة وتعزية وتسرية وتسلية ونصح وإرشاد وتوجيه.
8. أما نقولا الترك فقد حوى ديوانه على كثرته ثلاث قصائد ومقطوعتين تناول فيها ما تناوله علي الدرويش.
9. أما الناحية الفنية المتمثلة في اللغة والصور والأساليب فالأفضلية فيها للدرويش، فلم أجد عنده نبوا عن اللغة الفصيحة، ولا ميلا عن البلاغة العربية الموروثة، فلم تعرف العامية إلى شعره طريقا، ولم تهتد الإكاكة إلى لفظه سبيلا.
10. أما نقولا الترك فجاءت قصائده أقل في القيمة الشعرية من علي الدرويش بدرجات، فهي لا تسمو في شيء، فوق آثار التقليد النظمي المتتابع في عصور الانحطاط، بل قد يقل عنها في قوة سبك وشدة ضبط، وإن كان يردهي حينا بالصورة الطريفة، والوصف المبتكر، ذلك أن لغة العرب لم تعُن تماما لحفيد اليونان، فظل شاهد عصر جليل، دقيق النظر، مرهف الشعور، صائب القياس، بصير الحكم، ولكنه سيء التعبير.

11. كلا الشاعرين مهتم بقضايا عصره، حريص على إبداء الرأي والنصح، تربطه علاقات وثيقة، وصلات وطيدة مع طوائف مجتمعه لا سيما أهل الفضل وأولي العلم والنهى.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر الكاتب، الرياض، دار العاصمة.
- أبو ذؤيب الهذلي، خالد بن خويلد، ديوان شعر، شرحه وقدم له ووضع فهارسه: سوهام المصري. عني بمراجعته وقدم له: الدكتور ياسين الأيوبي. الطبعة الأولى، بيروت ودمشق وعمان، المكتب الإسلامي- 1419هـ-1998م.
- امرؤ القيس، حندج بن حُجر، ديوان شعر، اعتنى به وشرحه: عبد الرحمن المصطاوي، بيروت، لبنان، دار المعرفة، 1425هـ/2004م.
- ديوان الجواهري، محمد مهدي الجواهري، جمعه وحققه وأشرف على طبعه دكتور إبراهيم السامرائي ودكتور مهدي المخزومي ودكتور علي جواد الطاهر ورشيد بكناش. بغداد، العراق، مطبعة الأديب البغدادية، 1973، الجزء الثاني .
- ديوان المعلم نقولا الترك، نقولا الاسطمبولي، نقولا بن يوسف الترك، ضبط نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه فؤاد إفرام البستاني، لبنان، بيروت، وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، مديرية الآثار، 1949.
- ديوان خطب ابن نباتة، عبد الرحيم بن محمد بن نباتة، تحقيق ياسر محمد المقداد، الكويت، مجلة الوعي الإسلامي1433هـ، 2012م.
- ديوان شعر، علي الدرويش، نسخة قديمة غير مطبوعة، وجدتها مصورة على شبكة الإنترنت، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني.

- رسالة "النبا عن الوبا"، رائد عبد الرحيم، لزين الدين بن الوردي ت749هـ، دراسة نقدية. مجلة جامعة النجاح للأبحاث(العلوم الإنسانية) المجلد الرابع والعشرين(5)، 2010.
- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، 1407هـ، 1986م، الجزء الرابع.
- لويس شيخو، تاريخ الآداب العربية، الطبعة الثانية، بيروت،1934م.
- ما رواه الواعون في أخبار الطعون، الإمام السيوطي، حققه محمد علي الباز، ونشرته دار القلم بدمشق سنة 1418هـ.
- مالك بن الريب، ديوان شعر، تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الخامس عشر، الجزء الأول.
- مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، عمان- مكتبة دنديس - 1420هـ - 1999م.
- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، 1414 – 1993.
- المقري، أحمد بن محمد المقري التلمساني، شهاب الدين، أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية ودولة الإمارات المتحدة.